# قصص النبيين

## الجزء الرابع

تاليف

ابو الحسن علی الحسنی الندوی

مجلس نشریات اسلام

اے۔۳ ناظم آباد مینشن ۝ ناظم آباد ۱ ۝ کراچی ۷۴۶۰۰

الحقوق محفوظة للناشر

جملہ حقوق طباعت واشاعت پاکستان میں
بحق فضلِ ربّی ندوی محفوظ ہیں۔
لہٰذا کوئی فرد یا ادارہ ان کتب کو شائع نہ کریں۔
ورنہ اُس کے خلاف قانونی کارروائی کی جائیگی۔

نام کتاب ———— قصص النبیّین (الجزُ الرابع

تالیف ———— ابوالحسن علی الحسنی الندوی

طباعت ———— القادر پرنٹنگ پریس کراچی

ضخامت ———— ۹۱ صفحات

فون نمبر ۶۲۱۸۱۷

ناشر

فضلِ ربّی ندوی

مجلس نشریات اسلام ۱۔کے ۳۔ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد ۱ کراچی ۱۸

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

الحمد لله وسلامٌ علىٰ عباده الّذين اصطفىٰ.

أمّا بعد، فإنّ كاتب هذه السّطور يحمدُ اللهَ علىٰ أنّه وفّقه ليعود إلى سلسلة «قصص النّبيّين للأطفال»، بعد فترة طالت مدّة ثلاثين سنةً، فقد كانت بداية هذه السلسلة في سنة ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م، وإتمامها على الجزء الثالث المشتمل على قصّة سيّدنا موسىٰ - عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام - في سنة ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م، ثم شُغلَ المؤلِّف بأعمال كتابيّة تأليفيّة أخرىٰ، ورِحلات طويلة متواليه، صرفته عن إتمام هذه السّلسلة الّتي رزقها الله قبولاً عظيماً في حلقات التّعليم والمدارس الشّعبيّة والحكوميّة في شبه القارة الهنديّة والبلاد العربيّة، وصدرت لها طبعاتٌ في القاهرة وبيروت.

وألحّ بعض رجال التّعليم والتربية وقادة الفكر

علىٰ إتمام هذه السّلسلة بقصص مَن بَقيَ منَ الأنبياء بعد سيّدنا موسىٰ ، وإكمالها بقصّة خاتم النّبيّين صلوات الله وسلامه عليه فهي مسك الختام ، ونهاية المطاف ، ورأوا أنّ هذا العمل أفضل وأجدى من كثير ممّا يَشغل المؤلّفَ من الموضوعات الّتي يُعالجها ، وكان المؤلّف يشعرُ في بعض الأحيان بأنّ الأمر ما عادَ سهلاً له ، لبعد العهد به ، وأنّه يصعب عليه أن ينزل إلى مستوى الأطفالِ وأسلوبهمَ واللّغة الّتي يفهمونها ، ولكنّ الله يَسّرله هذه المهمّة ، فوَضَعَ الجزء الرّابع في شهر رمضان سنة ١٣٩٥هـ ، وهو الّذي بين يدي القراء ، ثم وفّقه اللهُ لوضع الجزء الخامس المشتمل علىٰ السّيرة النّبويّة على صاحبها الصّلاة والسّلام ، وسيَلي هذا الجزء إن شاءَ الله ، والحمد لله الّذي بعزّته وجلاله تتمّ الصّالحات ، والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
دار العلوم لندوة العلماء - لكهنو ( الهند )
١٦/شوال سنة ١٣٩٦هـ

# التَّنبِيهُ

نرجو حضرات القراء الانتباه للرموز التالية أثناء قراءتهم لهذا الكتاب .

الحركات في الحروف المشدَّدة تكون مع التشديد، فمثلا: الفتحة في التشديد تكون فوقه، كما تراها فوق حرف «الصاد» في كلمة «قِصَّة». والكسرة تكون تحت التشديد، كما تراها في كلمة «سيِّد». والضمَّة تكون فوق التشديد، كما تراها على حرف «اللَّام» في كلمة «كُلُّ» في جملة «هُوَكُلُّ مَا حَكَاهُ اللّٰهُ فِي الْقُرْآنِ» .

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

# قِصَّةُ سَيِّدِنَا شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلَام

## ١- نَظْرَةٌ عَلَى الْقِصَصِ السَّابِقَةِ

قَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَسَيِّدِنَا يُوسُفَ ، وَقَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا نُوحٍ وَسَيِّدِنَا هُودٍ وَسَيِّدِنَا صَالِحٍ ، قَرَأْتُمْ قِصَّةَ سَيِّدِنَا مُوسَىٰ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّطْوِيلِ ، قَرَأْتُمْ كُلَّ ذٰلِكَ بِشَوْقٍ وَرَغْبَةٍ ، وَإِجْلَالٍ وَتَقْدِيرٍ ، وَحَلَّتْ فِي نُفُوسِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ مَحَلَّ الْقِصَصِ الْحَبِيبَةِ الْأَثِيرَةِ ، وَوَعَتْهَا ذَاكِرَتُكُمْ ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُكُمْ ، وَقَدْ رَآكُمُ النَّاسُ تَحْكُونَهَا لِإِخْوَتِكُمُ الصِّغَارِ ، وَتُرَدِّدُونَهَا لِلْأَبَوَيْنِ وَالْإِخْوَةِ الْكِبَارِ ، وَأَنْتُمْ تَتَذَوَّقُونَهَا ، وَقَدْ تَتَحَمَّسُونَ فِي حِكَايَتِهَا .

## ٢- قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

وَلَا غَرَابَةَ ؛ فَإِنَّهَا قِصَصٌ شَائِقَةٌ مُثِيرَةٌ ، وَإِنَّهَا قِصَّةُ صِرَاعٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَبَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ ، وَبَيْنَ النُّورِ

وَالظَّلَامِ ، وَبَيْنَ الْإِنسَانِيَّةِ وَالْوَحْشِيَّةِ ، وَبَيْنَ الْجَزْمِ وَالْيَقِينِ، وَالظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ .

ثُمَّ إِنَّهَا قِصَّةُ انْتِصَارٍ لِلْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَالْعِلْمِ عَلَى الْجَهْلِ ، وَالضَّعِيفِ عَلَى الْقَوِيِّ ، وَالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ ، قِصَّةٌ فِيهَا عِلْمٌ وَحِكْمَةٌ ، وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

## ٣- وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا

وَلَيْسَ مَا حَكَيْنَاهُ لَكُمْ مِنْ قِصَصِ النَّبِيِّينَ ، هُوَ كُلَّ مَا حَكَاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَصِهِمْ وَحِكَايَاتِهِمْ ، فَفِي الْقُرْآنِ قِصَصٌ غَيْرُ هَٰذِهِ الْقِصَصِ .

فِيهِ قِصَّةُ نَبِيِّ اللَّهِ شُعَيْبٍ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَىٰ مَدْيَنَ وَأَصْحَابِ الْأَيْكَةِ ، وَهُمْ أَصْحَابُ تِجَارَةٍ وَسِلَعٍ. فَقَدْ كَانُوا عَلَى الْجَادَّةِ التِّجَارِيَّةِ الْكَبِيرَةِ بَيْنَ الْيَمَنِ وَالشَّامِ

وَبَيْنَ الْعِرَاقِ وَمِصْرَ، عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ.

كَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللّٰهِ غَيْرَهُ، كَمَا كَانَتْ أُمَمُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ عَصْرٍ، وَكَانُوا - زِيَادَةً إِلَىٰ ذٰلِكَ - يَنْقُصُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَيُطَفِّفُونَ فِي الْكَيْلِ، وَيَتَعَرَّضُونَ لِلْقَوَافِلِ، فَيَتَوَعَّدُونَهَا وَيُخِيفُونَهَا، وَيَعِيثُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، شَأْنَ الْأَغْنِيَاءِ الْأَقْوِيَاءِ، الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَلَا يَخْشَوْنَ عَذَابًا.

فَبَعَثَ اللّٰهُ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ شُعَيْبًا يَدْعُوهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: «يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرٰكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيٰقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ».

## ٤- دَعوة شُعيب عليه السلام

وَيَبْسُطُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ وَيَحُلُّ عُقْدَةً فِي نَفْسِهِمْ، وَهِيَ عُقْدَةُ حُبِّ الْمَالِ وَالزِّيَادَةِ، فَيَقُولُ:

إنَّ مَا يَفضُلُ لَكُمْ مِنَ الرِّبْحِ بَعْدَ وَفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالظُّلْمِ وَالْخِيَانَةِ ، وَ إِذَا نَظَرْتُمْ فِي حَيَاتِكُمْ وَفِي حَيَاةِ هؤُلَاءِ الَّذِينَ أَثْرَوْا وَجَمَعُوا الْأَمْوَالَ ، وَجَدْتُمْ أَنَّ مَا اكْتَسَبُوهُ عَنْ طَرِيقِ التَّطْفِيفِ وَالْبَخْسِ وَالْخِيَانَةِ، كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى التَّلَفِ وَالضَّيَاعِ ، أَوْ الْفَسَادِ وَالْبَلَاءِ ، فَسُرِقَ أَوْ نُهِبَ ، أَوْ أُنْفِقَ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِي اللهَ ، أَوْ سُلِّطَ عَلَيْهِ مَنْ أَتْلَفَهُ وَعَبَثَ بِهِ ، وَالْقَلِيلُ الَّذِي يَنْفَعُ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ : «قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ

وَنَصِيحَتِي لَكُمْ خَالِصَةٌ مُخْلَصَةٌ ، وَاللهُ هُوَ الرَّقِيبُ عَلَيْكُمْ وَحْدَهُ . يَقُولُ فِي رِفْقٍ وَحِكْمَةٍ وَعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ : «بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ.

## ٥ - أَبٌ رَحِيمٌ وَمُعَلِّمٌ حَكِيمٌ

وَيَتَنَوَّعُ لَهُمْ فِي الْخِطَابِ ، وَيَتَفَنَّنُ فِي النَّصِيحَةِ ، شَأْنَ الْأَبِ الرَّحِيمِ وَالْمُعَلِّمِ الْحَكِيمِ ، فَيَقُولُ :

«يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَآءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۝»

## ٦- جَوَابُ قَوْمِهِ

وَقَدْ دَقَّقَ أَذْكِيَاؤُهُمْ فِي تَفْسِيرِ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ وَتَعْلِيلِهَا وَقَالُوا فِي تِيهٍ وَزَهْوٍ، كَأَنَّهُمْ اكْتَشَفُوا سِرًّا أَوْ فَكُّوا لَغْزَةً :

«يٰشُعَيْبُ أَصَلٰوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ اٰبَآؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوٰلِنَا مَا نَشٰٓؤُا ۖ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝»

## ٧- شُعَيْبُ يَشْرَحُ دَعْوَتَهُ

وَتَلَطَّفَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ، فَلَمْ يَقْسُ وَلَمْ يَغْضَبْ ،

وَأَفْهَمَهُمْ أَنَّهُ مَا حَمَلَهُ عَلَىٰ هَٰذِهِ الدَّعْوَةِ وَالنَّصِيحَةِ بَعْدَ صَمْتٍ طَوِيلٍ وَعَدَمِ تَعَرُّضٍ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَخْلَاقٍ فَاسِدَةٍ وَتَصَرُّفَاتٍ جَائِرَةٍ، إِلَّا مَا أَكْرَمَهُ اللّٰهُ بِهِ أَخِيرًا: بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا شَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ وَآتَاهُ نُورًا مِّنْ عِنْدِهِ.

وَأَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ الْحَسَدُ، فَقَدْ أَغْنَاهُ اللّٰهُ وَرَزَقَهُ حَلَالًا طَيِّبًا، وَأَنَّهُ بِذٰلِكَ سَعِيدٌ، هَنِيءُ النَّفْسِ، رَخِيُّ الْبَالِ، شَاكِرٌ لِلّٰهِ تَعَالَىٰ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ.

ثُمَّ إِنَّهُ لَا يَنْهَاهُمْ عَنْ أَمْرٍ وَيَرْتَكِبُهُ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ وَيَأْتِيهِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ إِصْلَاحَهُمْ وَإِسْعَادَهُمْ وَإِنْقَاذَهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الَّذِي يُحَلِّقُ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ، وَإِنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ يَرْجِعُ إِلَى اللّٰهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ.

وَقَالَ: يٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا

تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ».

## ٨ - مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ

وَتَجَاهَلَ الْقَوْمُ مَا أَرَادَهُ شُعَيْبٌ، كَأَنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ فِي لُغَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ، مَعَ أَنَّهُ ابْنُ الْبَلَدِ وَأَخُو الْقَوْمِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ مُبِينٍ فِي كَلَامِهِ غَيْرَ مُفْصِحٍ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَبْلَغِهِمْ كَلَامًا وَأَفْصَحِهِمْ بَيَانًا، وَهٰكَذَا يَقُولُ النَّاسُ إِذَا كَبُرَتْ عَلَيْهِمُ النَّصِيحَةُ وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ.

## ٩ - شُعَيْبٌ يَتَعَجَّبُ مِنْ قَوْمِهِ

وَتَعَلَّلُوا بِضَعْفِهِ وَ وَحْدَتِهِ وَأَنَّهُ لَوْلَا عَشِيرَتُهُ وَقَرَابَتُهُمْ لَهُ لَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ وَتَخَلَّصُوا مِنْهُ، وَقَدِ اسْتَنْكَرَ ذٰلِكَ شُعَيْبٌ وَتَعَجَّبَ مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ وَالْقَوِيُّ الْقَاهِرُ، أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَشِيرَةٍ هِيَ عُرْضَةٌ لِلْأَمْرَاضِ وَالْهَلَاكِ وَالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ.

«قَالُوا: يٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرٰكَ

فِينَا ضَعِيفًا ، وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ : يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ ، وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ، إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ».

# ١٠ - السَّهْمُ الأَخِيرُ

وَلَمَّا انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ أَطْلَقُوا السَّهْمَ الأَخِيرَ الَّذِي أَطْلَقَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ :

« قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ».

# ١١ - حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ

فَكَانَ جَوَابُهُ جَوَابَ فَخُورٍ بِدِينِهِ ، غَيُورٍ عَلَى عَقِيدَتِهِ وَضَمِيرِهِ : « قَالَ : أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ؟ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ○.

## ١٢- بَلْ قَالُوا مِثْلَمَا قَالَ الأَوَّلُونَ

فَلَمْ يَنفَعْهُمْ ذٰلِكَ، بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ: «قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ○ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ ○ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ○».

## ١٣- عَاقِبَةُ أُمَّةٍ كَذَّبَتْ نَبِيَّهَا

وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ وَاحِدَةً، عَاقِبَةَ كُلِّ أُمَّةٍ كَذَّبَتْ نَبِيَّهَا وَكَفَرَتْ بِنِعْمَةِ اللّٰهِ: «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ○ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ج الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَٰسِرِينَ ○».

## ١٤- بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الأَمَانَةَ

وَكَانَ شَأْنُ شُعَيْبٍ شَأْنَ كُلِّ نَبِيٍّ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى

الأَمَانَةَ ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ :

« فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ : يٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسٰلٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كٰفِرِينَ ۝ »

# قِصَّةُ سَيِّدِنَا دَاوُدَ وَسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ
## عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

وَلَمْ يَقْتَصِرِ الْقُرْآنُ عَلَى ذِكْرِ أَيَّامِ اللهِ وَمَا لَقِيَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ مِنْ تَكْذِيبٍ وَسُخْرِيَّةٍ وَإِهَانَةٍ وَمُطَارَدَةٍ مِّنَ الْأُمَمِ الَّتِي بُعِثُوا فِيهَا، وَمَا لَقِيَتْ هٰذِهِ الْأُمَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ وَعَذَابٍ، وَهَلَاكٍ وَدَمَارٍ، لِتَكْذِيبِهَا لِلرُّسُلِ، وَاسْتِهْزَائِهَا بِهِمْ، وَكَيْدِهَا لَهُمْ، وَهَمِّهَا بِقَتْلِهِمْ، كَمَا مَرَّ بِكُمْ فِي قِصَصِ النَّبِيِّينَ

## ١- الْقُرْآنُ يَتَحَدَّثُ عَنْ آلَاءِ اللهِ

بَلْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ كَثِيرًا عَنْ آلَاءِ اللهِ، وَحَكَى فِي بَسْطٍ أَحْيَانًا وَفِي اخْتِصَارٍ أَحْيَانًا عَنْ نِعَمٍ كَثِيرَةٍ، أَنْعَمَ بِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْهُمْ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ، وَمِنْهُمْ أَيُّوبُ وَيُونُسُ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ.

فَأَمَّا دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ فَقَدْ مَكَّنَ اللهُ لَهُمَا فِي الْأَرْضِ، وَوَسَّعَ لَهُمَا فِي الْمُلْكِ، وَمَدَّ لَهُمَا فِي الْعِلْمِ،

وَعَلَّمَهُمَا كَثِيرًا مِمَّا جَهِلَهُ النَّاسُ ، سَخَّرَ لَهُمَا الأَقْوِيَاءَ وَالْعُتَادَ ، وَمَا لَا يَنْقَادُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ ، فَقَالَ : « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمٰنَ عِلْمًا ج وَقَالَا : الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ٥ وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ : يَٰأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ط إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ٥» .

## ٢- نِعمةُ اللّٰه علىٰ داوُد

فَأَمَّا دَاوُدُ فَقَدْ سَخَّرَ اللّٰهُ لَهُ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ تَتَجَاوَبُ مَعَهُ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ ، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوعِ ، وَأَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ط يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ج وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۵ لا أَنِ اعْمَلْ سٰبِغٰتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ط إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٥» .

وَيَقُولُ : « وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فٰعِلِينَ ٥ وَعَلَّمْنٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ

بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ۝»

## ٣ - شُكْرُهُ عَلَىٰ هٰذِهِ النِّعْمَةِ

وَكَانَ دَاوُدُ مَعَ هٰذَا الْمُلْكِ الْوَاسِعِ وَالْيَدِ الْحَاذِقَةِ الْقَوِيَّةِ عَبْدًا خَاشِعًا أَوَّابًا ، دَائِمَ الذِّكْرِ ، طَوِيلَ الدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ ، حَاكِمًا مُقْسِطًا ، يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا يُحَابِي ، يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالَىٰ :

« يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنٰكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝» .

## ٤ - نِعْمَةُ اللّٰهِ عَلَىٰ سُلَيْمَانَ

فَأَمَّا سُلَيْمَانُ فَقَدْ سَخَّرَ اللّٰهُ لَهُ الرِّيَاحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ وَتَحْمِلُهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ ، فَيَصِلُ إِلَيْهِ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَأَسْرَعِ زَمَانٍ ، وَسَخَّرَ لَهُ الْأَقْوِيَاءَ وَالْحَاذِقِينَ مِنَ الْجِنِّ ،

وَالْمَارِدِينَ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، يُنَفِّذُونَ أَوَامِرَهُ ، وَيُكْمِلُونَ مَشَارِيعَهُ الْعُمْرَانِيَّةَ وَالْبِنَائِيَّةَ الْعِمْلَاقَةَ .

« وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ○ وَمِنَ الشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ○ »

« وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ○ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ اعْمَلُوٓا آلَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ○ ».

## ٥ - فِقْهٌ دَقِيقٌ وَعِلْمٌ عَمِيقٌ

وَقَدْ تَجَلَّى ذَكَاؤُهُ وَقُدْرَتُهُ عَلَى الْحُكْمِ الصَّحِيحِ فِي قَضِيَّةٍ رُفِعَتْ إِلَى وَالِدِهِ الْعَظِيمِ ، فَكَانَ لِقَوْمٍ كَرْمٌ قَدْ أَنْبَتَتْ

عَنَاقِيدَهُ ، فَدَخَلَتْ فِيهِ غَنَمٌ لِّقَوْمٍ فَأَفْسَدَتْهُ ، فَقَضَى دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْكَرْمِ ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ : غَيْرُ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ . قَالَ : تَدْفَعُ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْكَرْمِ فَيُصِيبُ مِنْهَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَرْمُ كَمَا كَانَ ، دَفَعْتَ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا .

وَخَصَّهُ اللَّهُ بِفِقْهٍ دَقِيقٍ وَّعِلْمٍ عَمِيقٍ فَقَالَ : « وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَّعِلْمًا » .

## ٦- سُلَيْمَانُ يَعْرِفُ لُغَةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ

وَقَصَّ الْقُرْآنُ قِصَّةً حَكِيمَةً مُمْتِعَةً تَجَلَّى فِيهَا تَيَقُّظُ سُلَيْمَانَ فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَرَهْبَةِ سُلْطَانِهِ ، كَيْفَ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَبَيْنَ الْمُلْكِ وَالتَّمْكِينِ وَالنُّبُوَّةِ

وَالرِّسَالَةِ فِي الدِّينِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ لُغَةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ ، وَجَمَعَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ذَاتَ مَرَّةٍ ، وَرَكِبَ فِيهِمْ فِي أُبَّهَةٍ وَعَظَمَةٍ ، وَكَانُوا عَلَى نِظَامٍ كَامِلٍ ، وَكَانُوا فِي قِيَادَةِ رُؤَسَائِهِمْ ، فَمَرَّ سُلَيْمَانُ عَلَى وَادِي النَّمْلِ ، فَخَافَتْ نَمْلَةٌ عَلَى قَبِيلَتِهَا أَنْ تُحَطِّمَهَا الْخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا ، وَلَا يَشْعُرَ بِذَلِكَ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ، فَأَمَرَتْهُمْ بِالدُّخُولِ فِي مَسَاكِنِهِمْ ، فَفَهِمَ ذَلِكَ سُلَيْمَانُ ، وَلَمْ يَأْخُذْهُ التِّيهُ وَلَا الزَّهْوُ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ مِّنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ ، بَلْ حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى حَمْدِ اللهِ تَعَالَى وَشُكْرِ نِعْمَتِهِ ، وَالدُّعَاءِ لِلتَّوْفِيقِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْانْخِرَاطِ فِي سِلْكِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ .

## ٧ - قِصَّةُ هُدْهُدٍ

وَكَانَ الْهُدْهُدُ رَائِدَهُ وَعَيْنَهُ يَدُلُّهُ عَلَى مَوَاضِعِ الْمِيَاهِ ، وَمَنَازِلِ الْجَيْشِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَتَوَعَّدَهُ ، فَغَابَ زَمَاناً يَسِيراً ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ لِسُلَيْمَانَ : اطَّلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَنْتَ وَلَا جُنُودُكَ ، وَجِئْتُكَ بِخَبَرٍ صِدْقٍ

عَنْ سَبَأٍ وَّمَلِكَتِهِمْ ، لَهُمْ مُلْكٌ عَظِيمٌ وَّدَوْلَةٌ وَّاسِعَةٌ ، وَقَدْ وَجَدْتُهُمْ - عَلَىٰ هٰذَا الْعَقْلِ وَالْكِيَاسَةِ ، وَالْمُلْكِ وَالرِّئَاسَةِ - أَصْحَابَ سَفَاهَةٍ وَّجَهَالَةٍ ، وَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ ، وَلَا يَفْقَهُونَ ذٰلِكَ ، وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللّٰهِ وَحْدَهُ .

## ٨ - سُلَيمانُ يَدْعُو مَلِكَةَ سَبَأٍ إِلَىٰ دِينِهِ

وَشَقَّ عَلَىٰ نَبِيِّ اللّٰهِ أَنْ يَّكُونَ بِجِوَارِ مَمْلَكَتِهِ مُلْكٌ وَأُمَّةٌ لَّا يَعْرِفُهَا وَلَمْ تَبْلُغْهَا دَعْوَتُهُ ، وَلَا تَزَالُ تَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَثَارَتْ فِيهِ الْحَمِيَّةُ الدِّينِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ ، وَرَأَىٰ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يَّكْتُبَ إِلَىٰ مَلِكَتِهَا وَحَاكِمَتِهَا الْمُشْرِكَةِ ، وَيَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَالطَّاعَةِ وَالْاِسْتِسْلَامِ ، قَبْلَ أَنْ يَّزْحَفَ عَلَىٰ بِلَادِهَا بِجُنُودِهِ الْقَاهِرَةِ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهَا كِتَابًا بَلِيغًا وَدَعَاهَا فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْاِسْتِسْلَامِ ، وَالْكِتَابُ يَجْمَعُ بَيْنَ الرِّقَّةِ وَالصَّرَامَةِ وَتَوَاضُعِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرَةِ الْمُلُوكِ .

# ٩- المَلِكَةُ تَسْتَشِيرُ أَرْكَانَ دَوْلَتِهَا

فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ جَامِعًا بَيْنَهُمَا، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَحْكُمُ هٰذِهِ الْبِلَادَ عَاقِلَةً غَيْرَ مُتَسَرِّعَةٍ فِي الْحُكْمِ، عِنْدَهَا تَجَارِبُ وَاسِعَةٌ مِّنْ سِيَرِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْفَاتِحِينَ، وَإِنَّمَا خَانَهَا عَقْلُهَا فِي مَعْرِفَةِ الْإِلٰهِ وَعِبَادَتِهِ؛ فَلَمْ تَأْخُذْهَا حَمِيَّةُ الْمُلُوكِ، وَلَمْ تَسْتَبِدَّ بِالرَّأْيِ، فَأَطْلَعَتْ أَهْلَ الرَّأْيِ مِنْ أَرْكَانِ دَوْلَتِهَا عَلَى هٰذَا الْكِتَابِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ كَسَائِرِ الْكُتُبِ، إِنَّهُ كِتَابٌ مِّنْ أَعْظَمِ الْمُلُوكِ فِي زَمَانِهَا وَمِنْ نَبِيٍّ دَاعٍ إِلَى اللّٰهِ.

وَلَمَّا بَدَأَ أَرْكَانُ دَوْلَتِهَا يُدِلُّونَ بِقُوَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ جُيُوشِهِمْ إِرْضَاءً وَتَمَلُّقًا - شَأْنَ جُلَسَاءِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَّمَكَانٍ - لَمْ تَقْبَلْ مَقَالَتَهُمْ وَلَمْ تُوَافِقْهُمْ عَلَيْهَا، بَلْ حَذَّرَتْهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَذَكَّرَتْهُمْ بِسِيرَةِ الْمُلُوكِ الْفَاتِحِينَ فِي الْأُمَمِ الْمَفْتُوحَةِ وَمَصِيرِهَا بَعْدَ الْهَزِيمَةِ وَالْاِنْكِسَارِ، وَقَالَتْ: سَيَكُونُ هٰذَا شَأْنُ بِلَادِنَا وَأُمَّتِنَا، وَقَالَتْ لَهُمْ: إِنَّنِي سَأُرْسِلُ إِلَى سُلَيْمَانَ بِهَدَايَا وَطُرَفٍ فَأَمْتَحِنُهُ بِهَا، فَإِنْ

قَبِلَ الْهَدِيَّةَ فَهُوَ مَلِكٌ فَقَاتِلُوهُ ، وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ.

## ١٠ـ هَدِيَّةُ مُسَاوَمَةٍ

وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لَائِقَةٍ بِالْمُلُوكِ ، فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ أَعْرَضَ عَنْهَا وَزَهِدَ فِيهَا ، وَقَالَ : أَتُسَاوِمُونَنِي بِمَالٍ لِأَتْرُكَكُمْ عَلَىٰ شِرْكِكُمْ وَمُلْكِكُمْ؟ وَالَّذِي أَعْطَانِي اللّٰهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالْجُنُودِ ، خَيْرٌ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ، وَالْأَمْرُ جِدٌّ لَيْسَ بِهَزْلٍ ، وَالْقَضِيَّةُ قَضِيَّةُ دَعْوَةٍ وَطَاعَةٍ ، لَيْسَتْ قَضِيَّةَ مُسَاوَمَةٍ ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِقَصْدِهِ لَهُمْ وَزَحْفِهِ عَلَىٰ مُلْكِهِمْ .

## ١١ـ الْمَلِكَةُ تَأْتِي خَاضِعَةً

فَلَمَّا رَجَعَتْ هٰذِهِ الْبَعْثَةُ إِلَىٰ مَلِكَةِ سَبَأٍ ، وَحَكَتْ لَهَا الْقِصَّةَ ، سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا ، وَأَقْبَلَتْ تَسِيرُ إِلَيْهِ فِي جُنُودِهَا خَاضِعَةً ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُدُومَهُمْ إِلَيْهِ فَرِحَ بِذٰلِكَ وَحَمِدَ اللّٰهَ ، وَأَرَادَ أَنْ يُرِيَهَا

آيَةً مِّنْ آيَاتِ اللّٰهِ ، لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَدَلَّ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللّٰهِ وَنِعَمِهِ عَلَىٰ سُلَيْمَانَ ، فَأَرَادَ أَنْ يُحْضِرَ عَرْشَهَا الَّذِي وَكَّلَتْ بِهِ رِجَالاً أَقْوِيَاءَ أُمَنَاءَ ، فَطَلَبَ مِنْ مَلَإِهِ أَنْ يَأْتُوهُ بِعَرْشِهَا قَبْلَ وُصُولِ هٰذَا الْمَوْكِبِ الْعَظِيمِ .

وَقَدْ تَحَقَّقَ مَا أَرَادَ سُلَيْمَانُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَّكَانَ مُعْجِزَةً ، وَأَمَرَ بِهِ سُلَيْمَانُ فَغُيِّرَ بَعْضُ صِفَاتِهِ ، لِيَخْتَبِرَ مَعْرِفَتَهَا وَثَبَاتَهَا عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ، وَإِنِ الْتَبَسَ عَلَيْهَا الْأَمْرُ كَانَ دَلِيلاً عَلَىٰ قُصُورِ نَظَرِهَا فِي أُمُورٍ أَدَقَّ مِنْهُ وَأَبْعَدَ مَنَالاً .

## ١٢- قَصْرٌ عَظِيمٌ مِنْ زُجَاجٍ

وَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الْبَنَّائِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ، فَبَنَوْا لَهَا قَصْرًا عَظِيمًا مِّنْ زُجَاجٍ ، وَأَجْرَوْا تَحْتَهُ الْمَاءَ ، فَالَّذِي لَايَعْرِفُ أَمْرَهُ يَحْسَبُ أَنَّهُ مَاءٌ ، وَلٰكِنَّ الزُّجَاجَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَاشِي وَبَيْنَ الْمَاءِ ، وَكَانَ الْمُؤَكَّدُ أَنَّ الْمَلِكَةَ تَتَوَهَّمُهُ مَاءً فَتَكْشِفُ عَنْ سَاقَيْهَا ، وَهُنَالِكَ تَتَبَيَّنُ الْخَطَأَ ،

وَتُدْرِكُ قُصُورَ نَظَرِهَا وَانْخِدَاعَهَا بِالْمَظَاهِرِ ، وَكَانَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ ، لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مَظْهَرٍ لِلنُّورِ وَالْحَيَاةِ ، الَّتِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى ، وَهُنَالِكَ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ عَنْ عَيْنَيْهَا ، فَتَعْرِفُ أَنَّهَا كَمَا أَخْطَأَتْ فِي مُعَامَلَةِ الزُّجَاجِ مُعَامَلَةَ الْمَاءِ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، كَذٰلِكَ أَخْطَأَتْ فِي مُعَامَلَةِ الشَّمْسِ مُعَامَلَةَ الْخَالِقِ فَسَجَدَتْ لَهَا وَعَبَدَتْهَا ، وَكَانَ ذٰلِكَ أَبْلَغَ مِنْ مِائَةِ خُطْبَةٍ وَأَلْفِ دَلِيلٍ .

## ١٣- وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَهٰكَذَا كَانَ ، فَقَدْ تَوَرَّطَتْ رَغْمَ دَهَائِهَا وَذَكَائِهَا فِي هٰذَا الْخَطَإِ الْفَاحِشِ ، وَتَوَهَّمَتِ الزُّجَاجَةَ مَاءً رَقْرَاقًا يَسِيلُ وَيَمُوجُ ، فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَخُوضَهُ .

هُنَالِكَ نَبَّهَهَا نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانُ عَلَى خَطَئِهَا ، وَقَالَ : إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ، وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ عَنْ عَيْنِهَا ، وَعَرَفَتْ جَهْلَهَا فِي قِيَاسِ الْمَظْهَرِ عَلَى الظَّاهِرِ ، وَعِبَادَةِ الشَّمْسِ وَالسُّجُودِ لَهَا ، وَابْتَدَرَتْ تَقُولُ : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفسِي ، وَأسلَمتُ مَعَ سُلَيمَانَ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

## ١٤- القُرآنُ يَحكِي قِصَّةَ سُلَيمَانَ

وَاقرَؤُوا هٰذِهِ القِصَّةَ الشَّائِقَةَ المُمتِعَةَ فِي القُرآنِ ، يَقُولُ اللّٰهُ تَعَالَىٰ :

«وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقَالَ : مَالِيَ لَآ أَرَى الهُدهُدَ أَم كَانَ مِنَ الغَآئِبِينَ ○ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأتِيَنِّي بِسُلطٰنٍ مُّبِينٍ ○ فَمَكَثَ غَيرَ بَعِيدٍ فَقَالَ: أَحَطتُّ بِمَا لَم تُحِط بِهِ وَجِئتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ○ إِنِّي وَجَدتُّ امرَأَةً تَملِكُهُم وَأُوتِيَت مِن كُلِّ شَيءٍ وَّلَهَا عَرشٌ عَظِيمٌ ○ وَجَدتُّهَا وَقَومَهَا يَسجُدُونَ لِلشَّمسِ مِن دُونِ اللّٰهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطٰنُ أَعمَالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ فَهُم لَا يَهتَدُونَ ○ أَلَّا يَسجُدُوا لِلّٰهِ الَّذِي يُخرِجُ الخَبءَ فِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرضِ وَيَعلَمُ مَا تُخفُونَ وَمَا تُعلِنُونَ ○ اللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ ○ قَالَ : سَنَنظُرُ أَصَدَقتَ أَم كُنتَ مِنَ الكٰذِبِينَ ○ اذهَب

بِّكِتٰبِي هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ
قَالَتْ: يٰٓأَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتٰبٌ كَرِيمٌ ٥ إِنَّهُ مِن سُلَيْمٰنَ
وَإِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ٥ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ ٥ قَالَتْ: يٰٓأَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي ج
مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتّٰى تَشْهَدُونَ ٥ قَالُوا: نَحْنُ أُولُو
قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ٥ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا
تَأْمُرِينَ ٥ قَالَتْ: إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوٓا أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ج وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٥ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ٥ فَلَمَّا جَآءَ
سُلَيْمٰنَ قَالَ: أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ زفَمَآ اٰتٰنِۦَ اللّٰهُ خَيْرٌ
مِّمَّآ اٰتٰكُمْ ج بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ٥ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ
فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً
وَهُمْ صٰغِرُونَ ٥ قَالَ: يٰٓأَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا
قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ٥ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ: أَنَا
اٰتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ج وَإِنِّي عَلَيْهِ
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ٥ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتٰبِ: أَنَا

آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ: هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝ قَالَ: نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ: أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ: كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ: إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝» .

وَهَٰذَا نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مَوَاقِفَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ ، وَحِكْمَتَهُ وَفِقْهَهُ وَغَيْرَتَهُ عَلَى دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ .

# ١٥- وَمَا كَفَرَ سُلَيمَان وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

نَسَبَ إِلَيْهِ الْيَهُودُ مَا لَا يَلِيقُ بِمُؤْمِنٍ مُوَحِّدٍ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ ، فَضْلاً عَنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ ، وَأَكْرَمَهُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَشَرَّفَهُ بِالْخِلَافَةِ فَنَسَبُوا إِلَيْهِ السِّحْرَ وَالْكُفْرَ ، وَالْمُدَاهَنَةَ لِلشِّرْكِ ، وَالِاضْطِرَابَ فِي أَمْرِ التَّوْحِيدِ بِسَبَبِ أَزْوَاجِهِ ، فَبَرَّأَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

« وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ » . وَقَالَ : « وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ ، إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ » . وَقَالَ : « وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ » .

# قِصَّةُ سَيِّدِنَا أَيُّوبَ وَسَيِّدِنَا يُونُسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

## ١- قِصَّةُ أَيُّوبَ نَمَطٌ آخَرُ مِنَ الْقَصَصِ

وَقِصَّةُ أَيُّوبَ فِي الْقُرْآنِ نَمَطٌ آخَرُ مِنَ الْقَصَصِ، وَمَظْهَرٌ آخَرُ مِنْ مَظَاهِرِ نِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ، وَالأَنْبِيَاءِ الْمَحْبُوبِينَ؛ فَقَدْ كَانَ لَهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، وَأَوْلَادٌ مَرْضِيَّةٌ، فَابْتُلِيَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَذَهَبَ عَنْ آخِرِهِ، ثُمَّ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَلِيمٌ سِوَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ يَذْكُرُ بِهِمَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى عَافَهُ الْجَلِيسُ، وَأُفْرِدَ فِي نَاحِيَةٍ مِّنَ الْبَلَدِ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِّنَ النَّاسِ يَحْنُو عَلَيْهِ، سِوَى زَوْجَتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ بِأَمْرِهِ، وَاحْتَاجَتْ أَيْضًا فَصَارَتْ تَخْدِمُ النَّاسَ مِنْ أَجْلِهِ (١).

---

(١) العبارة لابن كثير في تفسيره .